

مستقبل العربية كلفة عالمية رهن بمستقبل العرب

للكتور: عبد السلام العجيلي

(دمشق)

ويكتبونها تصلح للتدريس الجامعي . واللغة العربية أصح من كثير غيرها من اللغات لكثرة مفرداتها ولدقة الفروق بين معاني المفردات المتقاربة منها ، ولرونة التركيب فيها ، ولماضيها الحضاري . ولأنها كذلك لغة جماعة كبيرة من الناس لهم تراثهم الجليل في التاريخ وللأوطان التي يسكنونها قيمة في حاضر العالم ومنزلة كبيرة منتظرة في مستقبله .

4 — العلم العصري سواء كان تدرسا في الجامعة أو بحثا علميا هو علم غربي البيئة والأصول اجنبي على اللغة العربية ، قد تلقاه الأساتذة والباحث باللغات الاجنبية في الغالبية العظمى من الحالات .

والمشاكل التي تعترض الأساتذة الجامعيين في تعليم العلم والبحث في اللغة العربية مشاكل على نوعين : النوع الأول مشاكل نفسية مصدرها اللغة الأساتذة للغة الاجنبية في تفكيرهم العلمي واقتصران المعطيات العلمية في اذهانهم بالتعبير الاجنبي الذي درسوه فيه ، ايا كانت اللغة الاجنبية تلك افرنسية أو انكليزية أو المانية أو رونية . هذا الاقتصران وتلك الالفة يؤسسان في نفس الأستاذ الجامعي اقتناعا بعجز اللغة العربية التي تلقى ثقافته العلمية بغيرها ، عن أن تكون وعاء متسعاً للمعارف التكنيكية أو البحث العلمي .

وهذه المشاكل النفسية تحتاج في حلها الى ايمان الأساتذة الجامعيين والباحثين بامتهم وبلغتها وبمستقبلها وطبيعي أن الايمان بالامة لا يحدث في يوم وليلة ، فهو نتيجة للتربية الوطنية الصحيحة . وكذلك الحال في الايمان باللغة فهو لا يكون بأمر أو قرار رسمي ، بل لابد للاستاذ الجامعي من أن يكون قوي

1 — ان تحديد انتشار اللغة العربية في العالم ليس ناجما عن مشاكل متعلقة باللغة نفسها ، بل عن اسباب متعلقة بالامة العربية ومنزلتها بين امم العالم وبعثواها الحضاري في العالم المعاصر . ليس ادل على هذا من ان اللغة العربية انتشرت بسرعة فائقة بعد ظهور الاسلام ونهضة العرب الحضارية التي تلت خروجهم من جزيرتهم . لم تقف امام انتشار اللغة حينئذ أية مشكلة من المشاكل التي تثار الآن كتمتيد النحو والصرف وعسر الكتابة وصعوبة مخارج الحروف .

متخلف العرب الحضاري هو المسؤول عن الحد من انتشار اللغة العربية بين الامم التي ليست هذه اللغة لغتها . وحين لا يكون عند العرب ما يغري الشعوب الاخرى بالتماسه من منابعه ، من معطيات ثقافية وفنية أصيلة ، وحين لا يغزو العرب امم العالم لا بقوتهم ولا بمعلمهم ، تبقى لغة العرب لغة ثانوية لا يتكلف احد جهدا في تعلمها غير ذوي الفضول ومحبي الغرائب ، مهما كانت اللغة من اليسر أو قرب التناول .

2 — مما اسلفت يتبين ان ليست هناك مشكلة رئيسية ليكون حل لها . ومستقبل اللغة العربية كلفة عالية رهن بمستقبل اهلها الناطقين بها .

ولا شك أن هناك مشاكل هامشية نستطيع أن نسيها صعوبات لا تخلو من مثلها أية لغة سواء كانت واسعة الانتشار أو قليلة . ومعالجة هذه الصعوبات تيسر تناول اللغة وتعلمها ، ولكنها لا تعطى القدرة على فرض نفسها كلفة عالية .

3 — في رأيي ان كل لغة يتكلم بها الناس

الاسماء والافعال ، وذات مخارج الحروف المعروفة والمحددة . غير أن العقبات التي تحول دون هذا الاندماج ليست عقبات لا تذلل ، كما ان اللغة العربية ليست الوحيدة التي اعترضتها هذه العقبات — نذلتها .

اولى العقبات وابسطها معالجة هو عدم احتواء الكتابة العربية حروفا معينة ، وبصورة خاصة بعض الحروف الصوتية ، موجودة في اللغات الغربية مثل حرف V و P و G . وقد عولجت هذه العقبة معالجة معقولة باجراء تعديلات في التنقيط على الحروف العربية المقاربة في مخرج اللفظ للحروف المتقدمة . ولكن هذه المعالجة لم تدخل في دور التعميم الشامل ، وهذا تصور يمكن تلافيه ويجب تلافيه .

وثمة عقبة اخرى هي التي تتعلق بتعريب المصطلح الاجنبي . وقد لعب التحرج والتصلب دورها في تضخيم هذه اللغة حين اصبر بعض المعنيين باللغة العلمية على تعريب كل مصطلح ورفض ما لم يتوافق وزنه وتركيبه مع اوزان الصيغ في اللغة العربية وتركيب الكلمات فيها . ولاشك بأن التنقيب عن كلمات عربية مهملة ومنسية كان العرب القدماء قد استعملوها في ما يقابل مسمياتها العلمية اليوم ، كـ بعض مصطلحات التشريح والفلك وعلم النبات ، عمل جليل يغني لغتنا العلمية بمفردات كثيرة نحن في حاجة اليها . الا ان الطوفان المستمر من المصطلحات العلمية الجديدة يجعل الاصرار على اكتشاف كلمة تدبى لكل مصطلح جديد ، او تعريب هذا المصطلح الجديد بكلمة عربية نصيحة ، ثم فرض هذه الكلمة على الاوساط العلمية العربية المتباعدة والمتقطع بعضها عن بعض ، امرا مستحيلا ويضطر العلميين العرب الى قبول المصطلح الاجنبي بأقل ما يمكن من التعديل في لفظه . لقد ترجمت بعض المدارس مثلا كلمة هرمون بكلمة « حائة » ، وفيتامين بكلمة « حيامين » ، الا ان الايام واقلام الكتاب اثبتت المصطلحين العلميين كما وردا في شكلها الاجنبي ، ولم يحل ذلك دون اندماجهما باللغة العربية العلمية او ان يصبحا كلمتين شائعتين على السنة العامة من الناس .

ويبدو ان الاشتقاق في المصطلح العلمي وتطويره لاصول الاشتقاق في اللغة العربية هو اشد العقبات بروزا . فاللغات العربية تقبل كلمات مؤلفة من عدد من الحروف يفوق العشرة او العشرين ، مركبة من

الاطلاع على لغته الام متذوتها قيمتها التاريخية المتمثلة في تراثها المتوارث طوال اربعة عشر قرنا . اما الايمان بمستقبل الامة فهو نتيجة ملازمة لمعايشة الاستاذ الجامعي لواقع الشعب الذي هو احد افراده بالاطلاع على مشاكله وحاجاته والتعرف على امكانياته الكامنة وطاقاته المحدودة . للاستاذ الجامعي في العالم العربي المعاصر يجب ان لا يكون في عزلة . انه ، لكي يقوم بما عليه ان يقوم به ، يجب ان يكون رائدا وطلية في بناء الاجيال الجديدة التي تفتدها امته بين الامم ، اعني بها الاجيال العلمية .

النوع الثاني من المشاكل التي تعترض الاساتذة الجامعيين في هذا المجال مشاكل واتمية مصدرها اللغة العربية نفسها . فنحن نعرف ونعترف بأن لغتنا لم تصبح بعد لغة علمية متكاملة وان تصور اللغة العربية في هذا المجال يعود الى اسباب تاريخية وانسانية خارجة عن ارادتنا نحن ، وعلينا نحن بارادتنا وتصميمنا ان نحو هذا القصور ونعطيها الصنة التي تنقصها لتصبح مثل غيرها لغة صالحة لتدريس العلوم والبحث فيها . وهذا امر لا يمكن ان يحدث في يوم وليلة ، او ان يقوم به فرد او افراد قلائل . على كل مدرس وباحث ان يأتي بما يقدر عليه في مجاله ، مستمينا بجهود زملائه ، مساهما بقسطه من الجهد والابتكار ، حتى يتأتى للغة العربية ان تصبح اداة وافية في ميدان العلم مثلها هي في ميادين الفكر والادب ومثل كل لغة عالمية يثق اهلها بذاتهم ويحترمون انفسهم .

5 — المصطلح العلمي قد يكون اسما او فعلا . وهو في هذه الحالة كلمة مكونة من جذر بسيط او عدة جذور مركبة ترجع في اصولها الى اللاتينية او الاغريقية في غالب الاحيان . ويلحق بهذا الجذر او تلك الجذور اضافات وحيدة او متعددة مما يخلق منها كلمات جديدة تخضع في تكوينها الى اصول الصرف والاشتقاق في اللغات العربية . وقد يكون المصطلح العلمي صيغة رياضية او كيميائية معبرا عنها بالارقام والحروف اللاتينية واليونانية ، او كلمات مخترعة مختصرة لجملة مصطلحات علمية ممثلة باوائل حروف جذور تلك المصطلحات .

وطبيعي ان لا يكون هنا اندماج هذا المصطلح العلمي باللغة العربية النصيحة ذات الاصول الثابتة في التكوين والاشتقاق ، ذات الاوزان المحدودة لصيغ

المصطلح العلمي على حاله او بقليل من التعديل وترويض اللغة على الوان من الاشتقاق مرنة وان لم تتساهل فيها الكتب القديمة او الاذان المتصلبة .
غير ان كسل هذه العقبات ؛ على جدتها ؛ لا تنف امام الارادة الصحيحة التي تقتضيها الحاجة الماسة الى فرض اللغة العربية كلغة علمية عن طريق تدريس العلوم الحديثة لابنائها بها وتوسيع مفرداتها بقبول المصطلحات العلمية الجديدة في مفرداتها . ولا يخفى علينا ان لغات كثيرة اشد عسرا في تواعدها وفي طريقة كتابتها من لغتنا قد طوعت للعلم امثل اليابانية والعبرية) فلم تنف دون تنسيق ابنائنا في العلوم النظرية او التطبيقية . واذا كان ثمة حائل صحيح دون ان تصبح اللغة العربية لغة علمية ثم لغة عالمية فهو ليس في اللغة نفسها بل هو في تصور الهمة وضعف الثقة بالنفس .

جذور متعددة ، مضافا اليها زوائد كثيرة . اما اللغة العربية فان تحملها للكلمات الكثيرة الحروف عسير ، ولذا يلجأ المعربون الى الكلمات المتعددة للتعبير عن المصطلح العلمي الواحد . فنقول فرط التحسس كترجمة Hypersensibilité الا ان هذا يخلق لنا متاعب يصعب التغلب عليها في الاشتقاق الوصفي او الفعلي لمصطلحات مثل هذه . نستطيع ان نقول اكسدة لفعل Oxydation المشتق من اكسد ، ونصرف فعل هذا المصدر بطريقة صحيحة . ولكن المسألة تتعقد حين نريد ترجمة Reoxydation و Désoxydation وتصريف الفعل المناسب لكل منهما . عدا ما هو اكثر تعقيدا من هذين مما تدخل فيه الزوائد اللاتينية واليونانية مثل Ere, ana, dis, Extra-intra ما كان منها بسيطا او مركبا . ويبدو ان الحل في هذه الحالة وامثالها هو قبول

يوجه المكتب الدائم هذا النداء الى جميع رجال الاختصاص في العلوم واللغة العرب :

في اطار المعجم العلمي العام الذي سيصدره المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي بناء على منهاجه العشاري ، نرجو من سيادتكم موافقتنا في اقرب وقت ممكن بما يعين لكم من مصطلحات تقترحونها في مادة اختصاصكم او ملاحظات على مصطلحات غير موفقة في نظر سيادتكم او ما عثرتم عليه اثناء بحثكم من مصطلحات عربية قديمة تعبر عن مفاهيم علمية جديدة وغير خاف عنكم ان الجامعة العربية قد بعثت بمذكرة خاصة الى جميع وزراء الخارجية العرب تطلب منهم فيها المساهمة في اعداد هذا المعجم ماديا وادبيا .
وان المكتب قد قرر ان يكون معجمه وافيا بجميع المصطلحات المستوعبة لقابلية الحياة لذلك يرى من الضروري الاتصال بجميع الهيئات العلمية واللغوية وبكافة الافراد العلميين .